وقال بعضهم في قوله للملائكة: ﴿اسجدوا لآدم﴾[1]: «هو إلهامٌ منه للملائكة. كقوله: ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾[2] أي ألهمها.

وكقوله: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾[3]، وذهبوا في الوحي ههنا إلى الإلهام.

وقالوا في قوله للسماء والأرض: ﴿ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾[4]: لم يقل الله ولم يقولا، وكيف يخاطب معدومًا؟ وإنما هذا عبارة: لكونّاهما فكانتا.

قال الشاعر حكايةً عن ناقته:

تقول إذا درأت لها وضيني ... أهذا دينه أبدًا ودِيني؟
أكُلّ الدهر حلٌّ وارتحالٌ ... أما يبقى عليَّ ولا يقيني؟!

وهي لم تقل شيئًا من هذا، ولكنه رآها في حالٍ من الجهد والكلال، فقضى عليها بأنها لو كانت ممن يقول، لقالت مثل الذي ذكر.

...قالوا: ونحو هذا قوله تعالى: ﴿يوم نقول لجهنم هل امتلأت فتقول هل من مزيد﴾[5]، وليس يومئذٍ قولٌ منه لجهنَّم ولا قولٌ من جهنَّم، وإنما هي عبارةٌ عن سعتها».

لقد كان الإشكال في لفظ القول نابعًا من فاعله.

والفاعل ركنٌ أساسي في سياق الفعل، فإذا كان السياق اللغوي محددًا أساسيا للدلالة، فقد كان الفاعل كذلك.

وقد رأينا من قبل كيف كان المفعول محددًا للدلالة في أفعال تعددت دلالتها وساهم تحليل السياق في إزالة الغموض الناشئ عن هذا التعدد، والمفعول مع دوره الكبير هذا لا يعد جزءًا أساسيا من التركيب النحوي للجملة العربية، في التصور المدرسي (الحرفي) لما تعنيه قواعد النحو؛ فالمنصوب فضلة والمرفوع عمدة!

والفعل يقوم دون مفعوله لكنه لا يقوم دون فاعله. بينما سنرى دور المفعول كبيرًا

---

(١) البقرة: ٣٤.
(٢) النحل: ٦٨.
(٣) الشورى: ٥١.
(٤) فصلت: ١١.
(٥) ق: ٣٠.